المحميات الطبيعية في اليمن مفهوم اقتصادي يعاني من الإهمال (٤-٥)

بُرع.. جبال شاهقة وغطاء نباتي وشجري كثيف

تزخر اليمن بمجموعة من المقومات الطبيعية التي تشكل ركائز جذب للاستثمار الذي بدوره سيعود بالنفع على الشعب اليمني من الناحية الاقتصادية بما يرفع من مستوى معيشة المواطن اليمني، كما أن هذه المقومات تتوزع على طول وعرض الوطن اليمني الكبير، ومن هذه المقومات تأتي المقومات السياحية في مرتبة متقدمة من الأهمية نظراً لما يمتلكه اليمن من مقومات سياحية متنوعة ومتعددة تتوزع على كافة الأراضي اليمنية، فمن الجبال الشاهقة في المنطقة الغربية والشمالية الغربية والوسطى إلى السواحل الممتدة على مسافة ١٢٠٠ كلم على ساحل البحر الأحمر والعربي - بما تحويه من تنوع حيوي فريد وجزر خلابة - إلى الصحارى في المناطق الداخلية والساحلية وصولاً إلى تنوع بيئي لا يوجد في أي من بلدان المنطقة جميعها، ويتوج ذلك موروث وتقاليد من الثقافة الشعبية المتنوعة تختلف من منطقة إلى أخرى، .

وفي هذه الإطلالة سنعرض بعضاً مما يميز اليمن السعيد ويستحق أن نعطيه أولوية لما يمثله من ثروة وطنية تستحق العناية والاهتمام الفعلي بما لا يقبل التأجيل والترحيل في خطط الدولة التي لطالما ركزت عليه في الأدبيات والخطط وتناسته في الممارسات والتطبيق، إنها المحميات الطبيعية برية وبحرية .. ذلك الكنز الضائع بفعل الإهمال وعدم المسئولية، الناتجة عن عدم المحاسبة للقائمين على مراقبة الأداء الحكومي وبالذات في جانبه الإنمائي.

رابع هذه المحميات من ناحية التأسيس والإعلان .. إنها محمية برع الطبيعية لنستعرض بعض ما تتميز به من مقومات تجعل منها مزاراً لمن يبحث عن الطبيعة النقية الخلابة ومشروعاً ناجحاً لمن يهتم بالنشاط السياحي ويهوى ممارسة تسلق المرتفعات، والاستمتاع بهوائها الذي يلتقي في نسيم البحر الرطب بهواء المرتفعات ولما تملكه من مقومات طبيعية ساحرة ما يستدعي من الجهات الرسمية للدولة أن تهتم بتوفير مقومات النشاط الاقتصادي السياحي من تمهيد الطرق وتحديد المواقع التي تناسب المشاريع الفندقية .. إنها برع في محافظة الحديدة رابع المحميات التي أعلنت رسمياً.

اعداد/ جمال الظاهري

أغنى مناطق اليمن من حيث التنوع البيئي والبيولوجي

● تم الإعلان عنها كمحمية برية طبيعية في العام ٢٠٠٦م ولما تمثله من تنوع وأهمية للدارسين لتاريخ الجزيرة العربية فبرع لوحة بديعة بطبيعتها الخضراء وبجمالها الساحر تحتضن في ثناياها مخزوناً طبيعياً، ينتشر في اتجاهاتها المختلفة ومحتوياتها الفريدة، الممتدة بطول خمسة كيلو مترات ونصف الكيلو، وبارتفاع جبالها الشاهقة التي تربض عليها غابات على ارتفاعات متفاوتة – من ٢٧٠٠ إلى ٣٠٠٠ متر– وتغطي أشجارها الباسقة ونباتاتها الكثيفة مساحتها الجبلية من أصغر جبل إلى أعلى جبل من شمالها إلى جنوبها.

لكونها أغنى مناطق اليمن من حيث التنوع البيئي والبيولوجي كما تحتوي على كثير من الحيوانات النادرة المستوطنة والمهاجرة فقد اكتسبت أهمية وطنية وعالمية فحيثما سرحت الأبصار فيها لا تقع العين إلا على لوحة سندسية خضراء بديعة التكوين مازالت بكراً كما أبدعتها يد الخالق بما تحويه من أشجار زاهية و نباتات خضراء، تتناغم حفيف أوراقها مع هدير المياه المنحدرة من أعلى قمم الجبال على مدار العام، حيث تذهب بخيال المرء بعيداً خارج حدود الزمان والمكان، فينتعش الذهن وصاحبه يستنشق هواءً صافياً عليلاً منزهاً من ملوثات العصر .

و محمية برع ثروة طبيعية بما حباها الله من تنوع حيوي والتي يمكن أن تكون مرتكزاً لتنمية المناطق المجاورة لها، ومصدرا من مصادر الدخل .

الموقع

● على بعد حوالي (٥٠ كيلومتراً)، وعلى بعد حوالي (٢٠ كيلومتراً) من الطريق الرئيسي (الحديدة صنعاء) .

يحدها من الغرب وادي سهام ومنطقة الخليفة والقطيع والمراوعة ومن الجنوب وادي الأسود وقرى خراشة ومدينة السخنة السياحية الاستشفائية ومن الشرق قرى الجيلان وسلسلة من الجبال الشاهقة ومن الشمال عزلة بني باقي والفاش والمنوب وبني سليمان، وترتفع محمية برع بحوالي (٣٠٠ – ٨٠٠ متر) عن مستوى سطح البحر .

تقع محمية جبل برع الطبيعية في محافظة الحديدة مديرية برع في الجنوب الغربي من مدينة رقاب في وادي رجاف الواقع في الناحية الغربية من منطقة مرتفعات برع الجبلية و التي تقع شرق مدينة الحديدة .

المساحة

● تبلغ مساحة محمية برع حوالي (٤١٠٠ هكتار)، ويبلغ طول المحمية حوالي ٥ كيلومترات ابتداء من منطقة سوق السبت نزولاً حتى قريتي الكاحل والمرخام، ويبلغ متوسط عرض المحمية حوالي (٤٠٠ متر)، وتقع المحمية في مناطق سفوح التلال التهامية، ويمكن الوصول إلى المحمية بسهولة عبر طريق مرصوف بالإسفلت يمتد من المنصورية إلى السخنة ثم إلى المحمية أو عن طريق آخر يصل المحمية ببلدة القطيع الواقعة على طريق (صنعاء – الحديدة) .

شخصيات ومعالم تاريخية

● وجود قبور أولياء صالحين استهوتهم سُكنى هذه الأرض الطيبة التي حباها الله من ريح الفردوس الاعلى، ومن قبور الأولياء والصالحين العلماء المتصوف الشيخ عبدالرحيم البرعي الذي عرف له العديد من قصائد المديح للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والسيد احمد البصير اللذان يرقدان في مرقد واحد بغرفة مقببة في قرية النيابة عرضها ٣ امتار.. ولهذين القبرين كرامة عند ابناء مديرية برع وغيرهم، وكذلك قبر الشيخ الحداد في قرية الغيلين، ما يدل على أن مديرية برع شهدت حركة مزدهرة من التصوف.

معالم أثرية

● تنتشر في المديرية الكثير من القلاع التاريخية القديمة والحصون العسكرية التي بناها الاتراك الذين حلوا في اليمن لمئات من السنين، لإشرافها على الطرق الرئيسية والمداخل الغربية لليمن .

يعتبر جبل الطلق في المديرية متحفاً اثرياً يحوي حلة وتاريخاً موغلاً في القدم لم تتكشف اسراره بعد ويؤمه الكثير من السياح الأجانب والعرب في كل عام، وخاصة من بلاد المغرب العربي، وجبل الطلق من الجبال التي تحوي نقوشاً وآثاراً كثيرة، ويحوي الجبل أحجار يوجد بها فصوص تشبه العقيق اليماني، ويوجد في الجبل سور مبني محاط بمساحة واسعة، بداخله ثلاث برك للماء محفورة بعناية وغرف صغيرة وطاحونة «للحب» الحبوب.. كما تنتشر في هذا الموقع أحجار متنوعة وغريبة جداً ونقوش مثل الثعبان الذي يشبه الثعبان المرسوم على الأدوية في الصيدليات.

معالم دينية

● توجد العديد من المساجد التاريخية والتي بنيت وفق طراز معماري بديع، وترجع إلى تاريخ موغل في القدم ومنها مسجد التمره.

تنوع حيوي ونباتي

● تتميز محمية برع بتنوع نباتي وحيواني حيث تمثل محمية برع آخر وأهم بقايا الغابات الاستوائية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية وتسودها نباتات الإقليم السوداني وقليل من نباتات الاقليم الصحراوي ويقدر الخبراء عدد الأنواع التي تنمو في أراضي المحمية بـ (٣١٥) نوعاً تتبع ٨٣ فصيلة و٢٠٩ أجناس ويشكل هذا العدد حوالي ١٥٪ من إجمالي تنوع النباتات في بلادنا، منها ٦٣ نوعاً نادراً على المستوى الوطني والإقليمي و٨٥ نوعاً مهدداً بالانقراض كما تم تسجيل ثمانية أنواع نباتية متوطنة وموطنها الأصلي هو محمية برع فقط وأهم تلك الأنواع هي نبات القطن، البياض و نوعان من الصبر.

كما تتميز مديرية برع بزراعة البن والزنجبيل وإنتاجها أفضل أنواع البن المسمى بالبن البرعي .

والتنوع الحيوي الفريد الذي تتميز به غابة برع جعلها متحفا للتاريخ الطبيعي، فإلى جانب تواجد شجرة (البرطم) بشكل يشد الانتباه، فإن الغابة تحتضن عدداً من الأشجار والنباتات النادرة أهمها : العرفط، خرمش، كمب، بياض طنب، مداخ، آذخر، ضبر، إلى جانب شجرتي يزاغ وعتم .

التنوع الحيواني

● أما التنوع الحيواني الذي يوجد في غابة برع فهناك العديد من أنواع الحيوانات التي استطاعت البقاء رغم التهديدات المتواصلة التي تواجه المحمية حيث يعيش في الغابة بحسب بعض الدراسات ٩ أنواع من الثدييات كالذئاب والثعالب والضباع والنمور والأسود والوشق وقرود البابون والقط البري.

الطيور والزواحف

● يوجد في محمية برع أكثر من ٩٠ نوعاً من الطيور وهناك أنواع منها مهددة بالانقراض وبعضها انقرضت، وتوجد مجموعة من الطيور النادرة مثل الحمام البري والحسون اليماني ونقار الخشب والحمامة المطوقة وطائر الزرياب والزرزور الأسود والنساج وجاكرا والتميز اللماع والكوكالو والكوكو والعقاب .

والزواحف منها الثعابين والسلاحف الصغيرة، وكذلك أربعة أنواع مستوطنة في المحمية، إلى جانب خمسة أنواع من البرمائيات، وهناك ٦٠ نوعاً من الفراشات النادرة استوطنت بالمحمية .

aldahry1@hotmail.com

ذمار.. أصالة الحاضر وعراقة الماضي في مسار واحد

استطلاع/ فايز محيي الدين

● في كل مرة يزور المرء مدينة ذمار؛ وبالذات القديمة منها؛ يزداد شوقاً لرؤيتها مرّةً أخرى. هكذا قال لي أحد الأصدقاء الذين سبقوني لزيارتها، وكان حافزاً لي لأقترب من هذه الدُّرّة الغافية على أطراف قاع جهران الفسيح. وللأمانة أقول أنّها مرّات عديدة لا تُحصى هي التي أعبرُ فيها مدينة ذمار مثلما يعبرها الكثير من المارة والمسافرين إلى محافظات إب وتعز والضالع والبيضاء ولحج وعدن وأبين أثناء ذهابهم وإيابهم إلى العاصمة صنعاء، بحكم توسّطها الجغرافي الذي يجعلها في قلب اليمن.

لكن يبدو أنّ هذا الموقع الفريد لمدينة ذمار لم يشفع لها عند الكثير منّا لنُعرّج ولو مرّة واحدة نحوها ونكتشف أسرار هذه المدينة التاريخية الموغلة في القِدم والحضارة، والتي يشهد لها اسمها على أنّها إحدى أهم المدن اليَمنية القديمة على الإطلاق ،إضافة إلى وجود العديد من المناطق المجاورة لها والتي تُعتبر من أهم المآثر التاريخية في اليمن عموماً ،مثل مصنعة (ماريا) التي كانت تُسمّى تاريخياً بـ(هجر سمعان) وتقع إلى الغرب من مدينة ذمار على بُعد حوالي ٧–١٠ كيلو مترات تقريباً وكذلك حصن هرّان الواقع إلى الشمال من المدينة على شمال المسافر بالخط الإسفلتي من صنعاء إلى ذمار.

● إضافة لحصن المواهب الشهير الذي كانت له صولات وجولات أيام حكم الأئمة آل القاسم بن محمد، حيث استطاع الإمام صاحب المواهب–كما أطلق عليه المؤرّخون–القضاء على كل مناوئيه والانفراد بحكم اليمن من مقرّه في المواهب ،ويقع حصن المواهب إلى الشرق من مدينة ذمار بحوالي ٥كيلو مترات.

أما ذمار القرن أو قرن ذمار –كما يحلو للبعض تسميتها– والتي تقع إلى الجنوب من المدينة القديمة ودخلتْ اليوم في عداد مدينة ذمار الكبرى فإنّ حكايتها التاريخية وماضيها العريق لايقل عن سابقاتها ،ولا تزال آثارها الباقية الماثلة للعيان خير شاهد على ذلك، ويراها المسافرون بوضوح كونها تقع على تَلّ مرتفع ومعظم أبنيتها لا تزال منتصبة وإنْ كان الخراب قد غزاها من كل جانب في ظل الإهمال الذي طال الكثير من المآثر التاريخية في بلادنا.

هذه المرّة البيتُ على نفسي أنْ تكون وجهتي مدينة ذمار القديمة ،وقد عقدت العزم على ذلك وساعدني على المُضي به الصديق العزيز محمد الغربي عمران الذي طاف بي أرجاء ذمار القديمة ودلّني على العديد من كنوزها التاريخية التي يجهلها الكثيرون. كانت البداية من حارة الجامع الكبير،حيثُ طفنا بأرجائها وكان لنا شرف زيارة هذا الجامع العتيق الذي تشع جنباته بالنور والروحانية وتعكس مبانيه وحيطانه صفحات مهمة من صفحات التاريخ اليمني العريق.

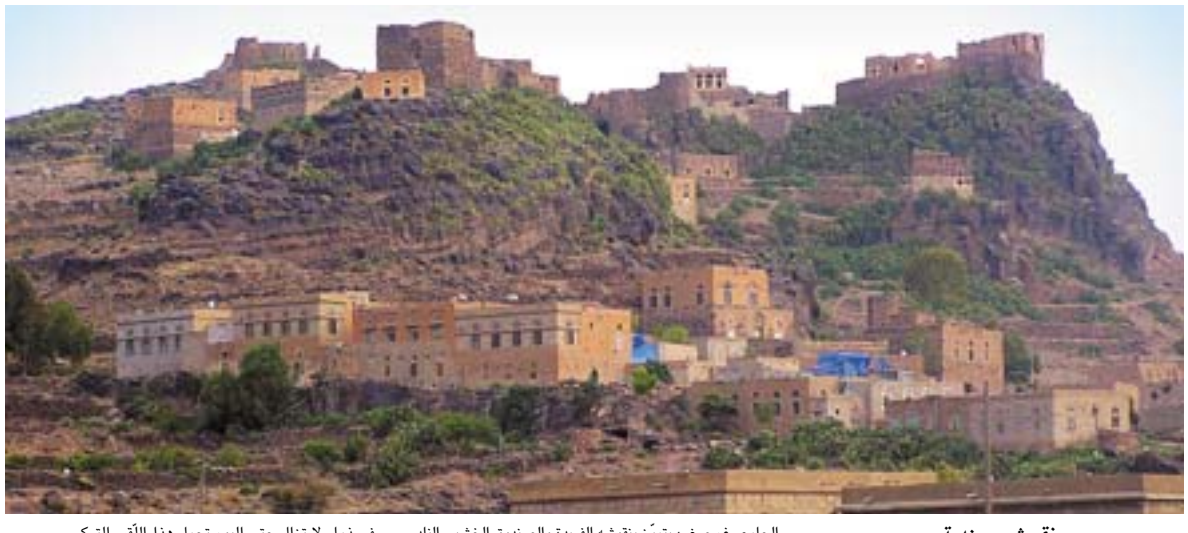

نقوش مسندية

● التقطنا صوراً عديدة للجامع الكبير،وخاصة صور النقوش المسندية التي كُتبتْ بخط المسند الحميري،والتي مازالت جنبات الجامع الكبير بذمار تحتفظ ببعضها بحالة جيدة حتى اليوم. إضافة إلى أنّ الأعمدة الحجرية والمنبر الخشبي كلها شواهد تاريخية على عراقة هذا الجامع الفريد. ويُقال بأنّ منبر الجامع الكبير بذمار الذي يتميز بالقِدَم والعراقة،والموجود حالياً في متحف ذمار الإقليمي،بأنّه يعود إلى القرن الرابع الهجري، ويمثل أحد روائع الفن الإسلامي، بل إنه يعد ثاني أقدم منبر في العالم الإسلامي.

بعد الطواف بالجامع الكبير كانت وجهتنا جامع عماد الدين الذي يحوي ضريح الإمام يحي بن حمزة العلوي مؤلّف كتاب الطراز في أسرار البلاغة والإعجاز المطبوع في مصر بثلاثة مجلدات فخمة،والذي يُعدُّ من أهم كتب البلاغة العربية على الإطلاق. وهذا الجامع رغم صغره يتميّز بنقوشه الفريدة والصندوق الخشبي النادر الموضوع على الضريح.. وتسمية الجامع بجامع عماد الدين يرجع إلى طبيعة الألقاب التي يطلقها اليمنيون على بعض الأسماء حين يطلقون على كل منْ إسمهُ علي(الجمالي) ومَنْ اسمهُ عبد الله(الفخري) وكل منْ اسمه مركّب من عبد واسم من اسماء الله الحسنى الباقية مثل عبد الرحمن أو عبد الكريم (الوجيه) فإنّهم أيضاً يطلقون على منْ اسمهُ يحيى (عماد الدين) أو (العماد). وهذا هو سبب تسمية الجامع بجامع عماد الدين وليس جامع الإمام يحيى بن حمزة.

مشربيّات بديعة

● إضافة إلى ذلك يوجد بمدينة ذمار القديمة جامع (داديه) وهو جامعٌ غايةٌ في الروعة،ويعود تاريخ بنائه إلى العهد العثماني في اليمن،وذلك واضحٌ حتى من التسمية،وهناك أُسرة في ذمار لا تزال حتى اليوم تحمل هذا اللّقب التركي.

فضْلاً عن ذلك هناك مبنى اندثر جزء كبير منه قال الصديق محمد الغربي عمران ويشهادة بعض المعمّرين من كبار السن أنّه كان معبداً لليهود الذين كانوا يقطنون مدينة ذمار القديمة قبل جلائهم عن اليمن منتصف القرن العشرين الميلادي.

وتتميّز المدينة القديمة أيضاً بالمشربيات البديعة المقاشم الفسيحة التي تعطي فرصة للبيوت المطلة عليها للاستمتاع بهواءٍ نقي ومناظر خلّابة تُريحُ النفوس،وتجلو الأبصار.وهذه المقاشم عبارةٌ عن ساحات واسعة داخل الأحياء السكنية مخصصة لزراعة أهم البقوليات والخضروات التي يستهلكها السكان بشكل يومي كالكراث والبقل والكزبرة.

ولا تزال أزقّة ذمار القديمة تحتفظ بالعديد من المعالم التاريخية،بما في ذلك البوّابات الكبيرة التي تفصل الأحياء عن بعضها البعض. إلاّ أنّ المُلاحَظ أنّ مدينة ذمار القديمة لم يكن لها سور يحيط بها مثل بقية المدن القديمة في اليمن،وهو ما يثير التساؤل ويدعو الباحثين لتسليط الضوء عليه،خاصة وأنّ كل من سألتهم من كبار السن والمهتمين بالتاريخ أكّدوا أنّ مدينة ذمار القديمة لم تكنْ مسوّرة ،وكما قال صديقنا الأديب الكبير محمد عبد السلام منصور–وهو أحد أبناء ذمار– :(ذمار محروسة برجالها).. ولا يزال هذا الموضوع بالنسبة لي أمراً محيراً وأبحث في بطون كتب التاريخ اليمنية عما يفسّر لي هذه الظاهرة أو يؤكّد أنّه كان للمدينة سور وتهدم قبل أن يشهده منْ تعمّر بالسن من أبناء ذمار الأحياء.

مخلاف نفيس

● وبالعودة لكتب التاريخ للبحث عن سبب التسمية ترجّح لدينا أنّ ذمار سُمّيتْ بهذا الاسم نسبةً إلى الملك الحميري (ذمار علي) الذي عُثر على تمثاله في منطقة بينون التاريخية بالحدأ. ويذكر الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب» أن ذمار قرية جامعة بها زروع وآبار قريبة ينال ماؤها باليد ويسكنها بطون من حمير وأنفار من أبناء الفرس و بها بعض قبائل عنس ،ويضيف الهمداني عن « ذمار»: مخلاف نفيس كثير الخير عتيق الخيل كثير الأعناب والمزارع و بها (بينون وهكر) وغيرها من القصور القديمة ، وفيها جبل (اسبيل) وجبل (اللسي) وعدد كبير من الجبال .

ذمار التي غرّتها المَدَنيّةُ الحديثة من كل مكان لا تزال تحافظ على طابعها التاريخي وخصوصيّتها القديمة من خلال الأسواق التي مازالت على عهدها القديم مع تغير طفيف يُشعرُ الزائر لها أنّه فعلاً في أحد أسواق العهود الإسلاميّة القديمة أيام الدولة العباسية وغيرها ،فسوق الحبوب لا يزال كما هو يبيع شتّى أصناف الحبوب اليمنية الأصيلة ،ولا تزال روائح التوابل النفّاذة تفوح من جنباته لتؤكّد عراقة أسواق ذمار القديمة ،فضلاً عن تمسّك أبنائها بإرثهم الحضاري في التسوّق والبيع والشراء على النمط القديم للآباء والأجداد.

وإذا كان بإمكان مَنْ يزور مدينة ذمار نسيان شيء ما من معالمها فإنّه لا يمكنه تجاهل أو نسيان جامع المدرسة الشمسية الذي يقع في القلب منها وكان لمدرسته شهرة واسعة عبر حقب التاريخ وإلى وقتٍ قريب ،حيث تخرّجَ منها العديد من أعلام اليمن في شتى العلوم أمثال أديب اليمن الكبير عبد الله البردّوني والقاضي المؤرّخ إسماعيل بن علي الاكوع والأستاذ الشهيد جار الله عمر وغيرهم.

ذمار التاريخ والعراقة واللُّطف والظرافة لا يغادرها الإنسان إلاّ مُرْغَماً ،ولهذا أجد نفسي مازلتُ أشتاق لزيارتها والتفتيش الدقيق عن مكنوناتها الحضارية التي تزخر بها ولا يكفيها استطلاعٌ واحد،فما تحويه من كنوز يحتاج له مجلّدات ضخمة تنوء به كواهل الكتابات الصحفية العابرة.